نشأة وتطور الفلسفة

مفهوم الفلسفة:

الفلسفة كلمة يونانية مركبة من قسمين. فيلوس Philosوتعني المحبة، وصوفياSophia وتعني الحكمة، أي محبة الحكمة، ويكون الفيلسوف Philosophos هو محب الحكمة. ويعتقد أن أول من استخدم مصطلح الفلسفة هو الفيلسوف اليوناني فيثاغورس Pythagore 572. 497ق م وذلك عندما رفض أن يوصف بالحكيم ، قائلا انه : " من الغرور أن يدعي الإنسان لنفسه الحكمة ، واسم الحكيم لا يليق بإنسان قط بل يليق بالآلهة وكفى الإنسان شرفا أن يكون دبا للحكمة وساعيا وراءها" لكن يوجد من يرد المصطلح إلى سقراط.

يورد المعجم الوسيط في تفسير كلمة فلسفة أنها "دراسة المبادئ الأولى وتفسير المعرفة تفسيرا عقليا وكانت تشمل العلوم جميعا واقتصرت في هذا العصر على المنطق والأخلاق وعلم الجمال وما ورا الطبيعة."

ويورد معجم التربية تعريفا للفلسفة فيقول في تعريف الفلسفة بأنها: "العلم الذي يرمي إلى تنظيم وترتيب كل مجالات المعرفة باعتبارها وسائل لفهم وتفسير الحقيقة في صورتها الكلية. وهذا العلم يشمل عادة المنطق والأخلاق وعلم الجمال وما ورا الطبيعة -الميتافيزيقا- ونظرية المعرفة."

تعريف كونت A. Compte : "ناد الفيلسوف الفرنسي كونت بأن الفلسفة في هذا العالم الجديد للعلم تقتصر فائدتها على توضيح مفاهيم ونظريات العلم، وأن على الفلسفة أن تتخلى عن مجال الميتافيزيقا، لأن القضايا التي يتناولها هذا المجال لا تسمح بالتحليل العلمي أو التجريبي أو البرهنة."

نشأة وتطور الفلسفة

-العصور القديمة: لقد أكد معظم المؤرخين عن وجود عناصر هامة من التفكير الفلسفي والحكمة العقلية في العراق ومصر والهند والصين، حيث احتوى الفكر في العصور القديمة على العديد من الأفكار التربوية الاقتصادية والدينية وأخلاقية، نجح نجاحا باهًرا في المحافظة على الحضارة القديمة مدة تزيد على آلاف القرون، لكن هذه العناصر لم ترق إلى مستوى البحث النظري المنظم، والنظرة الكلية الشاملة، بل ظلت في نظر البعض محجوبة بسحب كثيفة من المذاهب الدينية والأساطير الشعبية والاهتمامات العملية، فضلا عن أنها ظلت مفككة مقطعة الأوصال، وأصبح الإنسان يعتمد على عقله في تفسير الظواهر التي يشاهدها، وهنا بدأت إرهاصات الفلسفة التي يصعب تحديد مكانها، وظلت هذه النزعة في نمو متصاعد إلى أن عرفت نضجها لدى اليونان في القرن الخامس قبل الميلاد أين ظهرت كنشاط فكري مهيمن حيث ظهرت أثارها واضحة في التفكير اليوناني

-الفكر الفلسفي في بلاد الرافدين: أبدعت حضارة بلاد الرافدين على اختلاف دولها وملوكها إبداعا عظيما لازلنا نقف على أثاره على يومنا هذه في شتى المجلات الاقتصادية والسياسية والقانونية مثل شريعة حمو رابي وحدائق بابل المعلقة التي تدل دلالة قاطعة على ذكائه ودقة تفكيره

- الفكر الفلسفي عند المصريين : احتوى الفكر المصري القديم على العديد من الأفكار تربوية اقتصادية ودينية وأخلاقية، نجح نجاحا باهًرا في المحافظة على الحضارة المصرية مدة تزيد على الثلاثة آلاف عام حتى أن المحتلين لها من الفرس والرومان، تأثروا بها ولم يؤثروا فيها ، حيث اهتم المصريون بالفكر والإبداع وأعطوه الأهمية البالغة، وكان يحظى به الطبقة العليا في المجتمع دون سواها، "فكان هذا الفكر مقصور على الطبقة

الأرستقراطية بفئاتها المختلفة، فكان غرضها دنيوًيا ودينيًا، فالدنيوي رو المتعلمين في الفنون المختلفة، والديني هو العمل على دبة الآلهة في الآخرة بالتعبد والتقرب إليهم وآثار الحضارة المصرية تدل دلالة قاطعة على عظمة الفكر المصري وعلى قوة إبداعه وتفوقه.

-الفكر الفلسفي الصيني :أن التفكير في الصين هو في جوهره وليد التصورات الطبيعية القديمة التي نشأت عن تقلب الليل والنهار وتعاقب الفصول والأشياء حسب الين واليانغ فتعاقب هذين المبدأين هو الذي يفسر سير الحوادث والعالم ككل ، خلال القرن السادس قبل الميلاد برزت الكونفوشيوسية والطاوية، فالكونفوشيوسية هي فلسفة التنظيم الاجتماعي التي لا زالت تمد المجتمع الصيني بنظام من التربية وبتقاليد صارمة في التعامل بين الناس. وتتخذ الكونفوشيوسية اسمها من كونفوشيوس المعلم العقلاني ، أما الطاوية التي أسسها لاوتزو ويعني الأستاذ المسن ، فإنها تهتم أساسا بمراقبة الطبيعة واكتشاف طريقها أو الطاو ، فالسعادة البشرية عند الطاويين تتحقق عندما يتبع المرء النظام الطبيعي، ويعمل عفويا وفق المعرفة الحدسية ويثق بها.

-الفلسفة عند اليونان :عرفت الفلسفة لدى اليونان على الأقل ثلاثة مراحل ، وفي كل مرحلة كان مفهومها يتغير، فكانت قبل سقراط مهتمة بدراسة الطبيعة ثم أخذت اتجاها آخر بعده، وفي هذا الصدد يمكن الاستشهاد بفيلسوفين تجمعهما علاقة الأستاذ بتلميذه، إلا أن هذه العلاقة لم تكن كافية لتوحيد موقفهما من مفهوم الفلسفة

أفلاطون: ترك أفلاطون ثلاث كتب أبرز ما فيها فكره الاجتماعي وهي الجمهورية، السياسة، القوانين) ولخص فيها إسهاماته الفكرية. وينفي أفلاطون أن تكون معرفتنا لعالم المثل نتيجة اختبار حسي بل معرفة عقلية ويعبر عن هذه الفكرة بالتذكر فنحن حسب أفلاطون كنا نتمتع في حياة سالفة بمشاهدة المثل الأزلية مشاهدة مباشرة، لكن ولذنب اقترفناه، فقدنا هذا النعيم وهبطت أنفسنا إلى الأرض ، فحلت في جسد ترابي أصبح لها سجنا، وهنا فقدنا معرفة الأشياء كما هي في حقيقتها، إلا أن الأشياء الجزئية عندما تمر أمام حواسنا، فإنها تحيي فينا ذكرى مثالها، وتعيد إلينا شيئا من معرفتنا الغابرة.

-أرسطو :معلم الإنسانية الأول، تلميذ أفلاطون، ساهم بمنهج مخالف لأفلاطون

واضع المنطق الصوري الذي يعتبر من ابرز الإسهامات التي أثرت في تاريخ الفكر البشري هدف إلى الوصول إلى النتائج من المقدمات، ولم يهمل أرسطو أيضا منطق الاستقراء عندما ينتقل الفكر من الجزئي إلى الكلي. ورغم انه تلميذ أفلاطون فإنه لم يتفق معه في الثنائية القائمة بين المثال والشي الواقعي، بل يرى أن الشي يحمل ماهية فيه ، ولا وجود لما يقابله في عالم المثل ، لذلك كان مبدأ المعرفة عنده هو الإحساس المباشر بشي حاضر يوصف بأنه جزئي ، فالمعرفة تبدأ من التجربة الحسية المباشرة عكس ما ذهب إليه أفلاطون ، ولكن للعقل أهميته المعرفية عند أرسطو فهو الذي ينظم المعلومات التي نحصل عليها بالحواس ويربط بينها . وقد اهتم أرسطو في حياته العلمية ولاسيما في المراحل الأولى منها بدراسة الأحياء معتمدا في ذلك على خبرة أسرته التي توارثت مهنة الطب. الفلسفة عنده هي علم المبادئ والعلل الأولى للوجود ، أوهي علم الوجود بما هو موجود. ذلك لأنه كان يفكر في الأسباب التي تقف وراء الظواهر ، وتبين له أن هذه العلل تنقسم إلى أربعة أسباب وهي العلة المادية والعلة الصورية والعلة الفاعلة والعلة الغائية.

مجالات الدراسة في الفلسفة:

1-ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقا): علم يدرس الواقع والوجود من حيث طبيعتهما الأساسية، كما يدرس ماهية الأشياء . ومن الباحثين من يقسم علم ما ورا الطبيعة إلى ميدانين: علم الوجود، وعلم الكون. فعلم الوجود يدرس الموجودات؛ أما علم الكون فيدرس الكون الطبيعي ككل. كما أن علم الكون يُقصد به ذلك الفرع من العلوم الذي يدرس نظام الكون وتاريخه ومستقبله.

يتناول علم ما ورا الطبيعة مسائل من نوع: ما الواقع؟ ما الفرق بين الظاهر والواقع؟ ما المبادئ والمفاهيم العامة التي يمكن بموجبها تأويل تجاربنا وفهمها؟ هل لدينا إرادة حرة أم أن أعمالنا مسيرة بأسباب ليس لنا فيها خيار؟ لقد أوجد الفلاسفة عددا من النظريات في علم ما وراء الطبيعة وهي :المادية، والمثالية، والآلية، والغائية .إن المادية تؤكد أن المادة وحدها هي التي لها وجود حقيقي، وأن المشاعر والأفكار وغير ذلك من الظواهر العقلية إنما هي ناتجة عن نشاط المادة. وتقرر المثالية بأن أي شيء مادي إنما هو فكرة أو شكل من أشكال الفكرة، وبمقتضاها فإن الظواهر العقلية هي وحدها المهمة والمطابقة للحقيقة أما الآلية فتؤكد أن كل الأحداث إنما هي ناتجة عن قوى آلية محضة، وليس عن غاية معينة، بل لا يعقل أن نقول إن الكون في حد ذاته من ورائه غاية معينة، الفلسفة الآلية اتجاه فلسفي يرى أن الظواهر الطبيعية يجب تفسيرها في إطار قوانين السببية والنتائج التي تفسر حركة الأشياء، يعتقد فلاسفة هذا الاتجاه أن كل المظاهر الطبيعية يمكن إدراكها بمعرفة الحجم والشكل والنظام وحركة الجزيئات الصغيرة التي يطلق عليها الذرات أو الجسيمات، ويلخص هؤلاء فلسفتهم معتقدين أن العالم ما هو إلا آلة عملاقة.

2-نظرية المعرفة :هدفها تحديد طبيعة المعرفة وأساسها ومجالها، كما تستكشف الطرائق المختلفة المؤدية إلى المعرفة وجوهر الحقيقة والعلاقات بين المعرفة والإيمان. إن نظرية المعرفة تطرح أمثال الأسئلة الآتية: ما العلامات الدالة على المعرفة الصادقة من أجل تمييزها عن المعرفة الكاذبة؟ ما الحقيقة، وكيف يمكن أن نعرف الصواب والخطأ؟ هل هناك أنواع مختلفة من المعرفة؟ وهل لكل واحدة منها حجج وخصائص؟

كثيرًا ما يميز الفلاسفة بين نوعين من المعرفة: القبلية، والتجريبية نتوصل إلى المعرفة القبلية بالتفكير من غير أن نستعين بالتجربة، أما المعرفة التجريبية فنكتسبها من الملاحظة والتجربة.

3- المنطق: يتناول بالدراسة مبادئ وطرائق المحاكمة العقلية؛ فهو يستكشف كيفيات التمييز بين المحاكمة القويمة والمحاكمة السقيمة. ويُسمى المثال المستخدم في المحاكمة البرهان أو الاستدلال، يتمثل البرهان في جملة من الحجج تسمى مقدمات، وهذه تقترن بجة أخرى تسمى النتائج التي من المفروض أن تستند إلى المقدمات أو تنبثق عنها إن البرهان القوي يكون سندا للنتائج، بعكس البرهان الضعيف.

يوجد نوعان أساسيان من المحاكمة العقلية، يسمى أحدهما الاستنتاج والآخر الاستقراء يوصف البرهان الاستنتاجي بأنه صحيح عندما يأتي الحكم صحيحا بالضرورة من المقدمتين. ويوصف بأنه باطل إذا كان حكمه النهائي لا يتولد بالضرورة عن المقدمتين. فالبرهان الذي صيغته: البشر كلهم عرضة للموت. اليونانيون بشر. إذن اليونانيون كلهم عرضة للموت، هذا البرهان الاستنتاجي صحيح. لكن البرهان الذي صيغته: البشر كلهم عرضة للموت. اليونانيون كلهم عرضة للموت. إذن اليونانيون كلهم بشر، هذا البرهان باطل وإن كان

الحكم النهائي صحيحا، لأن هذا المنوال من المحاكمة العقلية يجعلنا نفترض جدلا أن الكلاب باعتبار أنها أيضا عرضة للموت هي بشر أيضا.

4-الأخلاق: لها علاقة بسيرة الإنسان وشخصيته وقيمه، فهي تدرس طبيعة الصواب والخطأ، وتميّز بين الخير والشر. فالأخلاق تستكشف خصائص العدل والمجتمع العادل، وكذلك واجبات الإنسان نحو ذاته ونحو غيره ونحو المجتمع.

تطرح الأخلاق أمثال الأسئلة الآتية: ما وجه الصواب في العمل الصائب؟ وما وجه الخطأ في العمل الخاطئ؟ ما الخير وما الشر؟ ما القيم الخاصة بالحياة؟ قد تبرز المشاكل في مجال الأخلاق، لأننا كثيرًا ما نجد صعوبة في إدراك ما يلزم القيام به. وفي العديد من الحالات تتعارض واجباتنا، أو تبدو لنا غامضة فضلا عن كون الناس كثيرا ما يختلفون حول ما إذا كان عمل من الأعمال أو مبدأ من المبادئ، صائبًا أو خاطئًا من الناحية الأخلاقية.